

# العنف المدرسي

لقد لوحظ خلال الفترة الأخيرة بروز وتصاعد درجة خطورة أعمال العنف، والذي يجسده ارتفاع حالات الاعتداءات الجسدية والسرقة، مما يؤكد الانتشار الواسع لظاهرة العنف بين الشباب وخاصة المراهقين الذين يتوافق سنهم مع تدرسهم في الثانوية. وهذا يحتاج إلى رصد علمي من أجل مقارنة أشكال العنف وتبيان أسبابه وعوامله والكشف عن "التمثلات" التي يحملها الشباب المراهق عند قيامهم بهذا السلوك.

## 1-1- تعريف العنف المدرسي:

يمكن اعتبار العنف لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين حين يحس الفرد بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادية.

فالعنف يمثل استجابة سلوكية تتميز بطبيعة انفعالية شديدة. وقد تنجم عن انخفاض في مستوى البصيرة والتفكير.

## 1-2- أسباب العنف المدرسي:

العنف المدرسي ككل الظواهر الأخرى يحمل مجموعة من المسببات والعوامل المؤدية إليه، حيث تتوزع على عوامل اجتماعية وسياسية ونفسية، إذ يتفق الباحثون على عدم وجود سبب واحد للعنف المدرسي، ويقرون بتعدد عوامله وتشابكها وتفاعلها في سياق اجتماعي وثقافي محدد.

ويمكن إجمال العوامل المسببة للعنف المدرسي على النحو الآتي: عوامل اجتماعية وعوامل نفسية، وعوامل تتعلق بالأساليب الدراسية ومجتمع المدرسة.

- **العوامل الاجتماعية:** إنّ العملية التربوية مبنية على التفاعل الدائم والمتبادل بين الطلاب ومدرسيهم حيث أن سلوك الواحد منهم يؤثر على الآخرين ويتأثر بالخلفية البيئية، ولهذا عندما نحاول تقييم أي ظاهرة في المدرسة، فمن الخطأ أن نفصلها عن المركبات الأخرى المختلفة المكونة لها حيث أن للبيئة حيزاً وجزءاً كبيراً من هذه المركبات وتتعدد الأسباب الاجتماعية للعنف في:

- وجود وقت فراغ كبير وعدم استثماره إيجابيا.
- ضعف القيم الاجتماعية جراء "التغير الاجتماعي والانفتاح الثقافي نتيجة التطور الشامل في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والإنسانية، والذي بدوره أدى إلى بروز وظهور بعض الظواهر السلبية بين الأفراد في المجتمع أو في الأسرة أو في أي وسط اجتماعي آخر، وحظيت الأسرة بنصيب وافر من هذا التطور حتى وصل الأمر إلى أعماق التنشئة الاجتماعية مما أدى إلى اضطرابات تعوق وظيفتها وقد انعكس ذلك على الفرد و المجتمع نفسيا واجتماعيا مما يولد الإحباط و التوتر لدى الأفراد الذي يؤدي بدوره إلى الانحراف والجريمة"<sup>(1)</sup>.
- التدريب الاجتماعي الخاطئ أو الناقص ويظهر ذلك في المجتمعات التي تتناقض فيها القيم والأهداف بصورة ملحوظة.
- المعاملة التمييزية ضمن الأسرة.
- التنشئة الاجتماعية النمطية للذكور والإناث.
- ارتفاع عدد أفراد الأسرة الذين يعيشون في منزل واحد (الأسرة الممتدة).
- كثرة الخلافات الزوجية والنموذج الأبوي المتسلط.

إنّ أسلوب التسلط في التنشئة الاجتماعية العربية أدى بدوره إلى إفراز الشخصية الأبوية السلطوية مما جعل الأسرة تبنى في هذه المجتمعات على الطاعة بناء على سلطة مفعمة بالإكراه ومقترنة بالعقاب والتحقير بعيدة عن الإقناع والتسامح والتعبير عن الرأي، مما انعكس سلبا على أفراد المجتمع، فاستخدام أساليب التسلط في التربية والتنشئة الاجتماعية ليس غريبا على مجتمعاتنا العربية، لأن الأسرة تخضع لهذا الأسلوب على حد تعبير "علي وطفة أسعد"، حيث يذكر أن "الأسرة العربية تعاني من السلطة الأبوية

الصارمة وهي سلطة تتمثل في قهر الأبناء وحرية الرأي، فالقيم التي تغرسها الأسرة العربية هي قيم تسلطية"<sup>(1)</sup>.

- وسائل الإعلام: يكاد العنف اليوم موجودا في كل أشكال المضمون الإعلامي بمختلف أنواعه ومستوياته، ويتضمن العنف في كل أشكال الاتصال والتكنولوجيا الحديثة، فهو موجود في الهواتف المحمولة، وألعاب الفيديو والانترنت وأجهزة (الآي بود)، التي أصبحت كلها ناقلا للعنف. وهو يتغلغل في الفن والإعلام والموسيقى، والترفيه كالسينما والأعمال الدرامية التلفزيونية وبرامج الأطفال والأفلام والمسلسلات المقدمة لهم وحتى الألعاب والدمى الصغيرة المخصصة للأطفال.

والواقع أن تأثير وسائل الإعلام كبير على سلوك المراهق خصوصا في محيط الجرائم، فقد "أسفر أكثر من نصف قرن من البحث حول التأثير الإعلامي عن اعتقاد واسع بين الباحثين يتمثل في أن التعرض المكثف لمشاهد العنف من خلال وسائل الإعلام يساهم في انتشار السلوك العنيف في المجتمع، كما تبين من خلال البحوث العلمية عن المراهقين والبالغين على حد سواء، ويتمثل هذا الدور في الموافقة على العدوان والسلوك العدواني"<sup>(2)</sup>.

ينبغي على المسؤولين التربويين إذا "أخذ الحيطة والحذر عند التعامل مع هذه الشريحة الحساسة، فالمراهق يعيش تحت وتيرة التغيرات العضوية والفيزيولوجية من جهة والتي تولد الاضطرابات النفسية من جهة أخرى والناجمة أيضا عن الضغوطات الممارسة من قبل المجتمع وبالمعامل الرئيسي مع هذه الفئة ألا وهي الأسرة"<sup>(3)</sup>.

وكثيرا ما تؤثر الظروف الاجتماعية على توازن شخصية المراهق، عندما يصبح القانون الأخلاقي الباطني أكثر تشددا، وأكثر تصفية وغير متسامح.

فوسائل الإعلام بمختلف أنواعها المرئية والمسموعة والمكتوبة تلعب دورا كبيرا في توعية الآباء بأهمية وحساسية هذه المرحلة التي يمر بها الأولاد، وقد خصصوا برامج توعوية متعددة ومختلفة، بإحضار أخصائيين نفسانيين واجتماعيين ومرشدين ليقدموا أكبر قدر من المعلومات والنصائح المتعلقة بالطفل والمراهقة وطريقة التعامل معه وكيفية مساعدته لتجاوز هذه المرحلة.

- **العوامل النفسية:** هناك أسباب خاصة بالعنف ترجع إلى شخصية التلميذ في حد ذاته من حيث:

- الشعور بالقلق والإحباط.
- ضعف الثقة بالذات.
- طبيعة المراهقة والتمثلة في الاعتزاز بالشخصية وقد يكون ذلك على حساب الغير والميل لسلوك العنف.
- الاضطراب الانفعالي والنفسي وضعف الاستجابة للقيم والمعايير.
- تمرد المراهق على طبيعة حياته في الأسرة والمدرسة.
- فعل الأذى حبا في الأذى لأنه يُشعرُ بالارتياح والمتعة.
- الغيرة.
- الشعور بالنقص الجسماني أو النفسي بحيث يشعر بأنه أقل مستوى من الآخرين ومن ثم يقابل بالعنف كل من يعتقد بأنهم يوجهون له إهانة بسبب هذا العيب.
- الشعور بالخوف.
- ضعف الإحساس بالمسؤولية اتجاه أفراد الأسرة.
- فقدان الإشباع العاطفي والانعزال.<sup>(1)</sup>

## - الأساليب الدراسية ومجتمع المدرسة:

هناك مجموعة أسباب تعود إلى المؤسسة التربوية نفسها من ذلك:

- ازدحام الفصول الدراسية ونقص المرافق الضرورية.
- قلة أو انعدام الخدمات.
- نقص البرامج الثقافية والترفيهية، إضافة إلى مجموعة الأسباب القانونية كعدم وجود قوانين واضحة تحكم العمل داخل المؤسسات التربوية، وعدم معالجة ما قد ينشأ من خلافات بين عناصر العملية التعليمية وهم: المعلمون، الطلاب، الإدارة المدرسية.

وفيما يخص الأساليب التربوية المنتهجة في المؤسسات التعليمية فإن لها تأثيرا كبيرا على ما يحصل في المدرسة من تجاوزات.

فقد ألحّ العالم المغربي "ابن خلدون" على خطورة انتهاجها بسبب الانعكاسات السلبية ذات الآثار الوخيمة على المتعلم، قائلا: "... وذلك أن الحد بالتعليم مضرة بالمتعلم سيما أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة، ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم بسط به القهر وضيق عن النفس في تبسطها وذهب نشاطها ودعاه إلى الكسل وجدل على الكذب والخبث، وهذا التظاهر يغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة، لذلك صارت هذه عادة وخلت وفسدت معاني الإنسانية".<sup>(1)</sup>

إنّ القسوة من الناحية التربوية، هي من باب الكسل والخمول والتهرب والنفور عن أداء الواجبات التربوية على أكمل وجه. خاصة في المراحل الأولى لتعلم التلميذ بحيث يخاف من المعلم، وينمي نوعا من الكراهية لديهم لكل ما له صلة بالتعليم، فكثيرا ما نسمع تردد عبارة: "أنا لم أخلق للدراسة"، في أفواه الراسيين، ويرجعون فشلهم إلى غياب

"موهبة" قد حضي بها -حسب زعمهم- باقي التلاميذ الذين أمكنهم ملازمة الدراسة إلى مستوى أبعد منهم.

ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم والذي كان معلما ومربيا وقدوة لأعمال وأفعال كل المسلمين أن الخشونة لا تأتي إلا بأفبح الأشياء، أما المرونة والرافة فهي مستحسنة ومحبذة في جميع المعاملات سواء كانت بين الناس أو حتى مع الكائنات الأخرى كالحيوان وحتى النبات، فلقد ورد في (صحيح مسلم) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه"<sup>(1)</sup>. وفي ذات السياق، يصر "ألان Alain" ويعزز الحديث حول الطريقة التربوية القائمة على الحرية، فيقول: "علينا أن ندرك تمام الإدراك ما نريد، وما المجتمع بحاجة إليه، حتى نوجه التربية توجيهها سليما، وندع التلاميذ أحرارا حتى تسهل عليهم عملية التعلم؛ فليس هناك تربية واقعية بعيدة عن طريق أو أسلوب الحرية في التعلم"<sup>(2)</sup>.

يتسنى للتلميذ أمام هذه التربية، بناء نفسيته بطريقة سوية وسليمة تجعله يندمج من دون تعقيدات ولا ترددات في الحياة الاجتماعية حتى يسهم من جهته كفرد فعال في بناء المجتمع، إن سلامة المجتمع قائمة أيضا على طرق التعامل في المدرسة والمناهج التربوية المطبقة. وعليه فإن العنف يتولد عند المراهقين جراء الأساليب المنتهجة سواء داخل الأسرة من قبل الأولياء أو من خلال المنهاج وسبل التعامل التي ينتهجها المربين داخل المدرسة، إن العنف يولد العنف.

## 2- أشكال العنف المدرسي والحلول المقترحة للحد منه:

### 2-1- أشكال العنف المدرسي:

يمكن التمييز حسبما أقره علماء الاجتماع وعلماء النفس وحتى الفلاسفة، بين نوعين أساسيين من العنف هما: العنف المادي والعنف الرمزي.

1- **العنف المادي:** هو "إلحاق الضرر بالموضوع فيزيائياً، في البدن أو في الحقوق أو في المصالح أو في الأمن".<sup>(1)</sup> يحوي هذا الصنف من العنف جملة لا حصر لها من الأحداث التي تركت بصماتها على التاريخ العام للإنسانية والتي تشغل الصفحات الأولى من الصحف المقروءة والنشرات الإخبارية، كالحروب بشتى أنواعها وحيثياتها، الجريمة بكل تفاصيلها وفعاليتها، المظاهرات، الخرق بكل أنواعه... الخ.

2- **العنف الرمزي:** يهدف هذا النوع من العنف إلى استخدام طرق تعبيرية أو رمزية تُعبرُ في مضمونها عن محاولة تهديد أو نبذ أو احتقار الآخرين. وتشير "خولة أحمد يحي إلى أن" العنف الرمزي "يشمل التعبير بطرق غير لفظية عن احتقار الأفراد الآخرين أو توجيه الإهانة لهم كالامتناع عن النظر إليهم بطريقة الازدراء والتحقير".<sup>(2)</sup>

## 2-2- الحلول المقترحة للحد منه:

إنّ العنف ظاهرة موجودة منذ القديم، وهي في تزايد مستمر، ويعمل العديد من الباحثين والدارسين على إيجاد حلول تقلل منها وإن لم تكن حلولاً جذرية، فمن بين الحلول المقترحة لتفادي هذه الظاهرة أو على الأقل التقليل منها ومن حدتها:

- غرس الأخلاق الحميدة والسلوكيات الاجتماعية الإيجابية في نفس التلميذ.
- توجيه التلميذ إلى الاهتمام بالقرآن والسنة في سلوكياته.
- غرس القيم الروحية وتصحيح الأفكار الخاطئة<sup>(3)</sup>.
- ضرورة متابعة وإرشاد الآباء للأبناء وتوجيههم خاصة فيما يخص وسائل الإعلام لاسيما "الانترنت".
- تحكم الفرد في مشاعره وتفكيره وردة فعله اتجاه الأشخاص والموضوعات.

- الإرشاد الجماعي من خلال التعرف على السلوكيات الاجتماعية وغير المرغوب فيها وتعزيز السلوكيات المرغوب فيها.
- تقديم نموذج إيجابي منسجم مع قيمنا الدينية والأخلاقية.
- تركيز الآباء على تعليم الأبناء القيم الأخلاقية وضرورة الامتثال بها.
- تعريف التلميذ ببعض مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم في المجتمع: السلم، المؤاخاة، العفو عند المقدرة والحلم.